مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ٦: ١٨–٢٣)

يا إخوةُ بعد أن أُعتِقتُم من الخطيئةِ أصبحتُم عبيداً للبرّ* أقولُ كلاماً بشريًّا من أجل ضَعفِ أجسادِكم. فإنَّكم كما جعلتُم أعضاءَكم عبيداً للنجاسَةِ والإثم للإثمِ كذلك الآنَ اجعَلوا أعضاءَكم عبيداً للبرّ للقداسة* لأنَّكم حين كنتُم عبيداً للخطيئةِ كنتُم أحراراً من البرّ* فأيُّ ثمرٍ حصل لكم من الأمورِ التي تستَحيونَ منها الآن. فإنَّما عاقِبَتُها الموت* وأمَّا الآنَ فإذ قد أُعتِقتُم من الخطيئةِ واستُعبِدتُم للهِ فإنَّ لكم ثمرَكم للقداسة. والعاقِبةُ هي الحياةُ الأبدية* لأنَّ أجرةَ الخطيئةِ موتٌ وموهبةُ اللهِ حياةٌ أبديَّةٌ في المسيحِ يسوع ربّنا.

النبي حزقيال

تعيّد الكنيسة في الثالث والعشرين من تموز للنبي حزقيال بن بوزي، الذي كان كاهنًا من قبيلة لاوي، عاش في القرن السادس قبل المسيح وقضى معظم حياته مسبياً مع الذين أجلاهم نبوخذنصّر إلى بابل (في العراق) سنة ٥٩٩ ق.م. وقد تلقى حزقيال من الله دعوة النبوة وهو في عمر الثلاثين. للوهلة الأولى قد يبدو سِفرُ حزقيال كثيفاً، وفي أماكن عدّة غامضاً. لعلّ هذا مردّه إلى أن الرجل عاش وتنبّأ في مرحلة صعبة في تاريخ شعب إسرائيل وأكثرها انحطاطاً على المستوى السياسي والديني. خسارة العبرانيين لـ«أرض الميعاد» وإجلاؤهم عنها عبيداً مسبيين، وخراب أورشليم والهيكل، كانت نتيجة حتميّة لابتعاد الشعب عن الله وعصيانه. «طهَّرتُكِ فلم تَطهُري، ولن تطْهُري بعد من نجاسَتِكِ حتى أُحِلَّ غضبي عليكِ. أنا الربَّ تكلَّمْتُ. يأتي فأفعلُه. لا أُطلِقُ ولا أُشفِقُ ولا أندَمُ. حسبَ طُرُقِكِ وحسَبَ أعمالِكِ يحكُمون عليكِ يقولُ السيِّدُ الربُّ» (٢٤: ١٣–١٤). هذا ولم تخلُ رسائل الله بفم نبيّه حزقيال، من حثّ الشعب على التوبة ليخلُصوا: «اطرَحوا عنكم كلَّ معاصيكم التي عَصَيتُم بها واعملوا لأنفُسِكم قلباً جديداً وروحاً جديدة. فلماذا تموتون يا بيتَ إسرئيل؟ لأنّي لا أُسَرُّ بموتِ مَن يموتُ يقولُ السيِّدُ الربُّ، فارجِعوا واحيَوا» (١٨: ٣١–٣٢).

تُقسَم نبوءة حزقيال، إلى ثلاثة محاور أساسية: أولها حكم الله على شعب إسرائيل الذي ابتعد عن الله وقسّى قلبه وصمّ آذانه عن تنبيهات الله المتكرّرة فاستحقّ التأديب. هذا المحور، وإن كَثُرَت فيه عبارات الغضب الإلهي والانتقام والتهديد، تبقى الفكرة الأساس فيه أن الله وإن «اضطّر» للتأديب فهو لا يبتغي إلا الخلاص. والمحور الثاني حُكْم الله على الأمم الوثنية التي استكبرت وتجبّرت وشمتت، لما رأت ما حلّ بشعب إسرائيل. البارز هنا أن الله لا يؤدّب انتقاماً لذاته بل تصحيحاً لمسار أبنائه متى شردوا، ويبقى مُظلّلاً عليهم وحامياً إياهم... والويل لمن يحاول استغلال ضعفهم وهم تحت قضاء التأديب. أما المحور الثالث، فملؤه الرجاء بأن الله مُفتَقِدٌ

العدد ٢٠١٣/٢٩

الأحد ٢١ تموز

تذكار أبوينا البارّين سمعان المتباله لأجل المسيح ويوحنا رفيقه في النسك

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الرابع

الإنجيل

(متى ٨: ٥–١٣)

في ذلك الزمان دخل يسوع كَفْرَناحومَ فدنا إليهِ قائدُ مئَةٍ وطلب إليهِ قائلاً يا ربُّ إنَّ فتايَ مُلقًى في البيت مُخَلَّعاً يُعَذَّبُ بعذابٍ شديد* فقال لهُ يسوع أنا آتي وأَشْفيهِ. فأجاب قائدُ المئةِ قائلاً يا ربُّ لستُ مستحِقًّا أن تدخُلَ تحتَ سقفي ولكنْ قُلْ كلمةً لا غيرُ فيبرأَ فتايَ* فإنّي أنا إنسانٌ تحت سلطانٍ ولي جندٌ تحت يدي أقولُ لهذا اذهبْ فيذهَبُ وللآخرُ ائْتِ فيأتي ولعَبْدي إعملْ هذا فيَعمَلُ* فلمَّا سمع يسوع تعجَّب وقال للذينَ يتبعونه الحقَّ أقول لكم إنّي لم أجِدْ إيماناً بمقدارِ هذا ولا في إسرائيل* أقول لكم إنَّ كثيرين سيأتون مِنَ المشارقِ والمغاربِ ويتَّكِئون مع إبرهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السموات* وأمَّا بنو الملكوتِ فيُلقَون في الظلمةِ البرَّانيَّةِ. هناك يكونُ البكاءُ وصريفُ الأسنان* ثمَّ قال يسوع لقائد المئة اذهَبْ وليكُنْ لك كما آمنْتَ. فشُفِيَ فتاهُ في تلك الساعة.

شعبه، وسوف يمنح البركات والخيرات الكثيرة لشعبه. متى اكتمل زمان التأديب، سيعيد الله لم شمل الشعب، ويبني لهم مدينة جديدة أعظم من الأولى وهيكلاً جديداً أبهى من الأول. أما الفكرة الأساس في هذا المحور فهي أن الإنسان المؤمن بالله، متى قَبِل أن يموت عن ذاته القديمة، أي متى قَبِل أن يستأصل اللهُ منه أدران خطيئته، لا يشفى وحسب بل يتجدّد بكلّيته.

أما الرؤى النبوية الأبرز في سِفر حزقيال فهي ستة. أُولاها يبدأ بها السِّفر، وفيها يرى النبي عرشَ الرب ويصِفُه وصفاً دقيقاً (١: ٤–٢٨). طبعاً لا يُراد من هذا الوصف تحديداً مادِّياً لشكل العرش الإلهي بل، وبالصور التي أوحى بها الله لنبيّه، إظهاراً لمجد الله. الإسرائيليون كانوا يخشون رؤية وجه الله، وهذه أصلاً ما كان لها أن تتحقّق قبل تجسّد المسيح، فكان الله إذاً يُريهم علامات خارجيّة تدلّ على شخصه. ولأن مجد الله هو علامة حضوره، تأتي هذه الرؤيا لتؤكد أن الله لا يقيم في الهيكل فقط بل هو يرافق شعبه حتى في أصعب مآسيه.

في الرؤيا الثانية (٨: ١–١٦) يُنبئ الله النبي بغضبه على شعبه بسبب رجاساتهم: «هل رأيتَ ما هم عامِلون؟ الرَّجاساتِ العظيمةَ التي بيتُ إسرائيلَ عامِلُها هنا لإبعادي عن مقدِسي. وبعدُ تعودُ تنظرُ رجاساتٍ أعظم». فيرى النبي شيوخ إسرائيل يقدّمون العبادة لأصنام وأشكال حيوانات نجسة ويديرون ظهرهم لله ويسجدون للشمس «لأنَّهم يقولون الربُّ لا يرانا». وكم تشبه هذه المشاهد حال عالمنا الحاضر، حيث بات أهل بيت الله منقادين إلى «عبادة» العالم وما فيه، قائلين «الرب لا يرانا». أنت، حتى لو كنت مقيماً في بيت الله، إن لم يكن قلبك بكلّيته لله، فأنت «تُبعد الله عن مَقدِسِه».

في الرؤيا الثالثة (١٦ إلى ١٩) مشاهد كثيرة يصوّر فيها الله شعبه، المُبتعد عنه، كالزوجة التي زنت على زوجها بعدما كان قد طهّرها من أوساخها القديمة، وجمّلها وزيّنها وكرّمها إذ اتّخذها خاصة له. «فاتَّكَلْتِ على جمالِكِ وزنَيْتِ على اسمِكِ، وسَكَبْتِ زِناكِ على كلِّ عابرٍ فكان له» (١٦: ١٥). خيانة الأمانة، بالمطلق، شرّ وإثم. فكم يكون إذاً عظيماً، إثم مَن يخون الأمانة لله؟ لا هذا وحسب بل ويسخّر مواهبه التي زيّنه به الله أصلاً، لـ«عبادة» آلهة أخرى. كموهبة الحكمة التي تُسخَّر لشريعة العالم فتصبح دهاءً وحيلة وخُبثاً. إذ ذاك تستحق النفس الزانية الحكم العادل «وأحكُمُ عليكِ أحكامَ الفاسِقاتِ السَّافِكاتِ الدَّم» (١٦: ٣٨).

ثم تأتي رؤيا «وادي العظام اليابسة» (٣٧:١–١٤) وهي النبوءة التي تُتلى في الكنيسة أثناء خدمة جناز المسيح. «تَنَبَّأ على هذه العظام وقُلْ لها: أيَّتها العِظام اليابسة، اسمعي كلمة الرب: هكذا قال السيِّد الربُّ لهذه العِظام: هأنذا أُدخِلُ فيكم روحاً فتَحيون. وأضع عليكم عَصَباً وأكسيكم لحماً وأبسُط عليكم جِلداً وأجعلُ فيكم روحاً، فتَحيون وتعلمونَ أنّي أنا الرب». بالإضافة إلى أن هذه النبوءة هي أوضح الدلائل الكتابية على قيامة الأجساد، نقرأ فيها أبعاداً رمزية رائعة لقدر ما فيها من رجاء: فالله القادر أن يعيد الحياة إلى عظام يابسة مبعثرة، عينه علينا، ولو ظننّا أنه غاب، ومهما اشتدّت الصعاب فهو قادر أن يخلّصنا. وعبارة «هأنذا أُدخِلُ فيكم روحاً

تأمل

«فقال يسوع أنا آتي وأشفيه» (٨: ٧).

وهذا لم يفعله في أيِ مكان آخر. كان دائماً يستجيب بعد توسّل المتقدّم إليه، بينما هنا يبادر فجأة ويعده بالشفاء، وليس هذا فحسب بل ايضاً بالذهاب إلي بيته. يفعل هذا لكي يكشف عن فضيلة قائد المئة. فلو قال له «اذهب سيُشفى غلامك»، لما عرفنا شيئاً إضافياً. هذا ما فعله بالضبط مع المرأة الكنعانية الفينيقية باستخدام طريقةٍ عكسية. هنا وبدون دعوة، يقول الرب بأنه سوف يذهب إلى بيته لكي يكشف عن إيمان قائد المئة وعن تواضعه الكبير.

في حالة المرأة الفينيقية يرفض الشفاء ويتحيّر لإلحاحها (مر٦:٢٥–٣٠). انه طبيب حكيم ماهر يعرف كيف يعالج النقيض بالنقيض. هنا يعالج بتجاوبه المفاجئ. وهناك، بتحفظه الشديد، يكشف عن إيمان المرأة بعد إلحاحها وتوسّلها الحار...

قال قائد المئة «لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي». فلنسمعه نحن الذين ينتظرون دخول المسيح لأن من الممكن اليوم أيضاً أن نتقبله في بيتنا. لنسمعه، ولنكن متحمّسين غيورين، فتَحيونَ» لا تعني الحياة بمعناها الطبيعي وحسب بل الحياة في الله ومع الله، إذ هذا الروح هو روح الله.

تليها مشاهد النبوءة على الأمم خارج إسرائيل (الإصحاحين ٣٨ و٣٩)، وفيها يرى النبي أعداء شعب الله يُسحقون وهم الذين استعملهم الله لتأديب إسرائيل. المعنى الحقيقي لهذه النبوءة هو ان الله وإن استعمل التجارب أو الصعاب لتصحيح مسارنا متى انحرف نحو الهلاك، لن يسمح بأن تقسو التجارب أو تطول أكثر من الحدّ الموضوع لها.

أما في الرؤيا الأخيرة، فيرى النبي من على جبل عالٍ المدينة الجديدة والهيكل الجديد، حيث يقيم مجد الله في وسط شعبه الجديد: «هذا مكانُ كُرسيِّي ومكانُ باطِنِ قَدَمَيَّ حيث أسكُنُ في وسطِ بني إسرائيلَ إلى الأبدِ، ولا يُنجِّسُ بعدُ بيتُ إسرائيلَ اسمي القدوس». في هذه الرؤيا وصف دقيق لشكل ومقاسات البيت الجديد والهيكل الجديد. الغاية من هذا الوصف ليست أبداً لمجرّد العرض الهندسي. بل أنّ خلاص الرب ليس ترميماً للقديم بل هو «خليقةٌ جديدةٌ: الأشياءُ العتيقةُ قد مَضَتْ، هوذا الكلُّ قد صار جديداً» (٢ كور ٥: ١٧). هذا هو الخلاص الذي تحقق بالمسيح، وصار متاحاً لكلّ مَن كان في المسيح، كما يقول القديس بولس الرسول.

مائدة الملكوت

ترد في رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى أهل كورثوس عبارة «حين تجتمعون في الكنيسة» (١كو ١١: ١٨)، وفيها لا يشير الرسول بولس إلى الهيكل كبناء حجري، إنما إلى طبيعة الإجتماع وهدفه. يتسم طابع هذا الإجتماع بأنّه إجتماع إفخارستي ذروته الإحتفال بمائدة الرب وكسر الخبز «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل وكسر الخبز والصلوات» (أع ٢: ٤٢). يوبِّخ بولس الرسول أولئك الذين يشتركون في عشاء الرب عن غير استحقاق (١كو ١١: ٢٠) لأنّه اجتماع شركة في جسد المسيح «وأمَّا نحن المشتركين في الخبز الواحد والكأس الواحدة فاجعلنا متحدين بعضنا ببعض في شركة روح قدس واحد» (من قداس القديس باسيليوس الكبير).

يشار غالباً في دراسة رموز الكتاب المقدس إلى الملكوت على أنّه وليمة «ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن وليمة خمر» (أش ٢٥: ٦)، وهكذا في الكنيسة، التي هي «بداية الملكوت وتوقعه الأخروي» كما يفسرها أحد لاهوتيي القرن العشرين، نجتمع حول مائدة الملكوت حيث يكون الرب يسوع حاضراً في كسر الخبز، في المائدة الإفخارستية التي قدَّم يسوع فيها نفسه ذبيحة من أجلنا.

المتكئون على هذه المائدة هم مَن عرفوا الله، أي مَن آمنوا به. كل إنسان إنما هو مدعو للجلوس على مائدة الرب، ولكن القليلين هم مَن يستجيبون لها. بتجسده وآلامه الخلاصية دعا يسوع جميع الناس إلى مائدته، خاصة الذين هم بحاجة لكي يتناولوا منها ويكونوا غير سقماء، أي لكي يصبحوا أصحاء بالروح «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم» (متى ١١: ٢٨).

الميزة الأساسية التي تخوِّل الإنسان الجلوس إلى هذه المائدة هو إيمانه المطلق بالرب يسوع، ليس إيمانًا سطحيًا إنما كمثل إيمان قائد المئة الذي يخبرنا عنه النص

ولنستقبله بالإيمان نفسه. عندما تستقبل فقيراً جائعاً عرياناً فكأنك تستقبل المسيح وتضيفه. «لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي». أنظر كيف يمتلك قائد المئة مثل الأبرص معرفةً لائقة بالرب. لم يقل له «توسّل إلى الله» أو «صلِّ وابتهل إليه» بل قال: «قل كلمة فقط»، «مُرْ فقط». ثم، إذ يخشى رفض السيّد، يستدرك معدّلاً لجهة أمره وتوسّله. «لأنّي أنا أيضاً إنسانٌ تحت سلطان، لي جند تحت يدي. أقول لهذا اذهب فيذهب، ولآخر ائتِ فيأتي، ولعبدي افعل هذا فيفعل» (٨:٩).

ماذا يعني هذا الكلام؟ كما قال الأبرص «إن أردتَ» ولا نستند إلى أقوال الأبرص لنُبرز سلطة يسوع بل إلى أقوال المسيح نفسه، لأن الرب لم يرفض طلب الأبرص بل استجاب له قائلاً «أريد فاطهر» (متى ٨:٣) مؤكداً على إيمانه، هنا أيضاً بعد كلام قائد المئة أراد الرب أن يجرّبه ليكشف عن إيمانه، ثم لم يكتفِ بمدح كلامه بل «تعجب» وقدّمه أمام الجمع كلّه كنموذج يُقتدى به. «فلما سمع يسوع تعجّب. وقال للذين يتبعون: الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا» (٨:١٠).

القديس يوحنا الذهبي الفم

الإنجيلي الذي تقرأه الكنيسة في الأحد الرابع بعد العنصرة (متى ٨: ٥–١٣). هذا الإيمان الصادق بيسوع المسيح يحصل عندما يفتح الإنسان قلبه ويوجهه نحو السماء بصفاءٍ ونقاوة، وهذا هو الأساس «قلباً نقياً أخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدد في أحشائي» (مز ٥٠: ١٠). الهوية المسيحية لا تنفع شيئاً عند الله، إنما قدرة الإنسان على رؤية الله والتحدث معه تجعلك تتكئ في المقام الأول. من هنا نرى يسوع يقول لليهود «وأقول لكم إنّ كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتَّكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات وأمَّا بنو الملكوت فيُطرحون إلى الظلمة الخارجية» (مت ٨:١١–١٢).

قد يتساءل البعض عمّا يميز إيمان قائد المئة عن سواه أو حتى عن إيمان كل منا بالرب يسوع. إذا تأملنا في النص الإنجيلي نفهم تلك الميزة من قول قائد المئة ليسوع «لست مستحقًا أن تدخل تحت سقفي» (مت ٨:٨). يقول أحد اللاهوتيين «نحن نؤمن بحقيقة واحدة لكن «كعِمْلة» بوجهَين. وجهها الأول محبة الله وعنايته ووجهها الثاني انكسارنا وعدم استحقاقنا». باطل هو إيماننا بالله إذا كان كدين أو كواجب علينا، أو يترتب عليه حقوق وواجبات، إنما يجب أن ينطلق من وعينا بأننا خطأة متوجهين إلى الله بتوبة عن غير استحقاق إلى الإله العادل والمحب البشر.

صورة هذا الإيمان نجدها في الإفشين الأول من المطالبسي للقديس باسيليوس الكبير «لأنني أخطأتُ يا ربّ، قد أخطأتُ إلى السماء وأمامكَ ولستُ مستحقًا أن أتفرّسَ في علوّ مجدك... لكن أنت يا ربّ بما أنك غير حقودٍ وطويلُ الأناة وجزيلُ الرحمة، لم تسلمني لأن أهلك بآثامي، متوقعًا رجعتي على كل حالٍ. لأنك يا محبّ البشر قد قلت بواسطة نبيّك: إني لا أريد موت الخاطئ يل أن يرجع ويحيا... فأتقدّم واثقاً بتحننك الذي لا يُحصى، فاقبلني أنا أيضًا أيها المسيح المحبّ البشر كما قبلتَ الزانية واللص والعشار والابن الشاطر... لكي أصير أنا أيضًا مع كل مختاريك شريكًا لخياراتك غير الفاسدة التي أعددتها للذين يحبّونك يا رب...». نتيجة هذا الإيمان هي التمتع بالخيرات الأبدية «من كان حَسَنَ العبادة ومحبًا لله فليتمتع بحسن هذا المحفل البهج، من كان عبدًا شكورًا فليدخل فرح ربه مسرورًا ... المائدة مملوءة فتنعّموا كلكم! العجل سمين فلا ينصرف أحد جائعًا، تناولوا كلكم مشروب الإيمان، تنعموا كلكم بغنى الصلاح» (من عظة الفصح للقديس يوحنا الذهبي الفم). إنّ وعينا لعدم إستحقاقنا هو الخلفية لإيماننا الحقيقي بيسوع المسيح، وكلما زاد وعينا هذا الأمر زادت معرفتنا بالله.بغير التواضع نجعل من الله خادمًا لنا وليس سيدًا على حياتنا.

في القداس الإلهي نشترك في هذه المائدة من خلال جسد ودم ربنا يسوع المسيح. إشتراكنا فيها هو غذاء روحي لنا و«نار تحرق غير المستحقين» على حد سواء. باستجابته لهذه الدعوة ينال المؤمن الفرح الأبدي وتلك التطويبة التي لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال يسوع المسيح: «طوبى لمن يأكل خبزًا في ملكوت الله» (لو ١٤:١٥).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb